

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

ايران والدور المحرك لمحور المقاومة في الشرق الأوسط
"طوفان الأقصى انموذجا"

Iran and the driving role of the resistance axis in the Middle East

" AL-Aqsa Flood as a Model "

طاهر بن براهيم*

جامعة الجزائر 3

tahardz83@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/03/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

ما شهدته غزة من دمار وقتل مروع ستظل عالقة في الوعي العام العالمي وخاصة العربي ، بل وسيمنع أي استئناف وإعادة الروح من جديد في عملية التطبيع مع إسرائيل ففي استطلاع للرأي قامت به بعض الاوساط الإعلامية الرسمية منها وغير الرسمية أظهرت ان القبول والدعم الشعبي لعملية التطبيع قد انخفض بشكل حاد . بل وجعلت من مسألة الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني تتصدر المشهد السياسي كلية على قضايا المنطقة كما وأحييت عملية "طوفان الأقصى " الفكر المقاوم واستعمال القوة كأحد الأدوات الفاعلة التي لا يفهم الاحتلال سواها والتي جاءت نتيجة للانتهاكات الصهيونية الحافل تاريخها بكثير من المذابح والمجازر التي نفذت ضد الفلسطينيين على مدار عقود ، فإسرائيل ومن ورائها الغرب المتحيز لهذا الكيان لا يعطيك إلا بمقدار قوتك وأن التاريخ أثبت أن ثقافة السلام لم تجد نفعا مع إسرائيل ، واليوم ونحن نجني ثمار هزيمة "كامب ديفيد" والتي سميت باتفاقية السلام و ما هي إلا ثقافة ورثتنا التنازل تلو الآخر، هذا السلام الذي أصبح اليوم بموجب طوفان الأقصى جاهزا للدفن والنسيان .

الكلمات المفتاحية: الشرق الاوسط ; طوفان الاقصى ; محور المقاومة ; ايران

Abstract :

The horrific destruction and killing that Gaza witnessed will remain stuck in the Arab public consciousness, and will even prevent any resumption and revival of the normalization process with Israel. In an opinion poll conducted by some media circles, it showed that popular acceptance and support for the normalization process has declined sharply. Rather, it brought the issue of the Israeli-Palestinian conflict to the forefront of the entire political scene, The "Al-Aqsa Flood" operation also revived the thought of resistance and the use of force as one of the effective tools that only the occupation understands, and which came as a result of the Zionist violations against the Palestinians over the course of decades. Israel, and behind it, the West only gives you to the extent of your strength, and the culture of peace has not found any benefit with it, and today we are We reap the fruits of the Camp David defeat, which was called the peace agreement, and it is nothing but a culture that bequeathed us one concession after another, this peace, according to which today it is ready to be buried and forgotten.

Keywords: the Middle East ; AL-Aqsa Flood; axis of resistance ; Iran

مقدمة:

اهتز الكيان الإسرائيلي لصدمة عنيفة لم يكن يتوقعها هزت كيانه العسكري و الإستخباراتي و اخلطت أوراقه السياسية ، جاءت هذه الضربة نتيجة للانتهاكات الصهيونية الحافل تاريخها بكثير من المذابح والمجازر التي نفذت ضد الفلسطينيين على مدار عقود لم يسلم منها لا الشجر ولا الحجر بل وكل ما يدب فيه الحياة تعرض فيها الشعب الفلسطيني لكل أنواع الإحتلال و الاستيطان ، و التهويد والتهجير و تغيير المعالم و تزوير الحقائق ومصادرة الأراضي ... و لا يزال تحت صمت دولي وخذلان عربي ، وما يتعرض له الشعب الأعزل في قطاع غزة من جرائم واعتقالات وتوسيع دائرة الاستيطان على غلاف غزة لتزيد من الخناق على القطاع المحاصر منذ أكثر من 18 سنة ، هذا الأمر جعل حركة حماس تنتهج استراتيجية جديدة والبحث عن عنصر المفاجأة وهي البدء بالهجوم في عملية قامت بها كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس في عملية سميت "طوفان الأقصى" راسمة بذلك معالم جديدة للنضال الفلسطيني ولمقاومته الباسلة ولتدويل قضيتها من جديد ، خلقت بذلك فوضى في المشهد السياسي الإسرائيلي بل وزرعت جانبا من فقدان الثقة بين عناصره ووحداته ، محاولة بذلك إفشال كل مخططات الصهاينة الأمنية والاستيطانية . وأن لا تنازل عن أي جزء من أرض فلسطين ، تحت أي سبب كان ، كما وترفض أي بديل عن تحرير فلسطين تحريراً كاملاً ، من نهرها إلى بحرها . بل و أغرقت المنظمات البالية التي لا تتحرك إلا بعد أن ينجلي دخان المعارك ، سواء السياسية أو العسكرية ، كما أغرقت بتلك العملية الأنظمة المطبوعة التي لا تزال تتشاور وتتواصل وتدين وتشجب ، وما ذلك إلا عن وهن أصابها و من عجز رؤية وانعدام ثوابت من أمة بعدة وعتاد كثير صدق وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها " ولكنها غثاء كغثاء السيل" ، ومع أن الطبيعة لا تأبى الفراغ سعت إيران الى الاستثمار في هذا الوضع بغية تعزيز نفوذها الإقليمي ، وردع أعدائها وتقوم استراتيجيتها في المنطقة على في ثلاثة مشاريع، وهي تمويل شبكة من الحلفاء غير الحكوميين وتسليحهم ، وتطوير الصواريخ الباليستية القادرة على الوصول إلى خصومها ، وأخيرا توسيع برنامجها النووي ، والذي قد يؤدي إلى تفاقم مشكلاتها الداخلية والخارجية بدلاً من تحسين موقفها الاستراتيجي . وقد واجهت إيران مؤخراً تحديات متزايدة بعد الهجمات المتكررة من إسرائيل وعدم نجاح استراتيجيتها في الردع . في ظل تصاعد العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد وكلائها في المنطقة ، وقد سعت إيران بعد عملية طوفان الأقصى الى حشد قواتها للتحرك على جبهات متعددة. فقد عطلت صواريخ الحوثيين في اليمن حركة الملاحة البحرية في البحر الأحمر، وفي العراق وسوريا أطلقت الميليشيات طائرات مسيرة وصواريخ على القوات الأميركية ، وفي لبنان كثف "حزب الله" إطلاق النار عبر الحدود باتجاه إسرائيل . وبينما شنت إسرائيل حملتها العسكرية في غزة سعت أيضاً إلى إخماد طوق النار الإيراني المحيط بها من جبهات متعددة بما في ذلك استهداف أفراد الحرس الثوري الإيراني بالإضافة الى الغارة الإسرائيلية على مبنى ملحق بالقنصلية الإيرانية في دمشق اعتبرتها إيران اعتداء مباشراً على أراضيها السيادية ، ورداً على الخسائر المتزايدة في ضباط الحرس الثوري الإيراني داخل لبنان وسوريا شنت طهران للمرة الأولى هجوماً عسكرياً مباشراً ضد إسرائيل.

مشكلة الدراسة :

ما هي أبرز التحديات التي يفرضها الدور الإيراني على المنطقة ؟ و أي أفق ينتظر القضية الفلسطينية خصوصاً والشرق الأوسط عموماً بعد عملية "طوفان الأقصى"؟

تساؤلات فرعية :

- ما هي الآثار التي تركها طوفان الأقصى على واقع المقاومة ؟
- طوفان الأقصى ماذا بعد ؟ ، وهل نحن أمام سايكس بيكو جديد ؟ وهل ثمة قدرة على اسقاط مثل هذه المخططات ؟
- هل الدور الإيراني يشكل خطراً علي الأمن القومي لمنطقة الشرق الأوسط أم لا؟ وكيف تنظر دول المنطقة الى طبيعة هذا الدور و هل هناك خيارات وبدائل لمجابهة الطموحات الإيرانية وعقيدتها الإمبراطورية؟

الفرضيات :

- أحييت عملية "طوفان الأقصى" الفكر المقاوم واستعمال القوة كأحد الأدوات الفاعلة التي لا يفهم الاحتلال سواها. راسمة بذلك معالم جديدة للنضال الفلسطيني ومقاومته الباسلة ولتدويل قضيتها من جديد.
- أغرقت عملية "طوفان الأقصى" الأنظمة المطبوعة التي لا تتقن إلا فن الإدانة و الشجب، و أفشلت كل ما كان مخطط له في السر. كما أسقطت شماعة العدو البديل "ايران" وهي الفزاعة التي طالما ابتزت بها أمريكا دول الخليج .
- نسفت عملية "طوفان الأقصى" « بالمعايير الأخلاقية والإنسانية لمجلس الأمن حبيس الفيتو الأمريكي . لتكون بمثابة الرد التاريخي على الثقافة الإمبريالية ومنظومتها المعرفية ، مما اكسبها تعاطف الشارع في الغرب مع قضيتها العادلة .

اهداف المقال :

يهدف إلى ابراز اهمية الشرق الاوسط في إستراتيجية القوى الدولية والإقليمية وبيان القوى المهتمة بهذه المنطقة ، وماهي دوافعها السياسية والاقتصادية والأمنية ، كما يسلط الضوء على مكان و أسباب الصراع الحقيقية في منطقة الشرق الأوسط ومن هي الدول الفاعلة في هذه المنطقة ، ومحاولة وضع الحلول والمعالجات المناسبة لهذا الصراع الذي دمر البلاد وقتل وهجر العباد .

منهج التحليل المعتمد:

بحكم اتساع محاور البحث في الموضوع أستدعى الأمر توظيف عدداً من مناهج البحث العلمي وكلاً حسب استعمالاته وخواصه ووضعه المناسب أبرزها : المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الاستشرافي (الاحتمالي) المشروط الذي لا غنى عنه في الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية .

الإطار المفاهيمي :

حركة حماس : ظهر اسم حركة المقاومة الإسلامية حماس مع انطلاق الانتفاضة الأولى في ديسمبر من العام 1987 ، وعرفت الحركة نفسها منذ البداية بأنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين ، والحقيقة أن حماس أحد اشكال المقاومة التي قرر المسلمون الإخوان تبنيها ضمن تاريخهم الطويل في فلسطين. [01]

كتائب القسام : كانت البذور الأولى لكتائب القسام عام 1986 قبل الإعلان عن انطلاق حركة " حماس " ، ويعد صلاح شحادة المؤسس لأول جهاز عسكري للحركة عرف باسم "المجاهدون الفلسطينيون " ، ثم صار يحمل اسم "كتائب" عز الدين القسام في أواسط 1992.. و تتبنى كتائب القسام التوجه الإسلامي السني ، وتعتبر الجهاد والمقاومة الوسيلة الأنجع لاسترداد الحقوق وتحرير الأرض ، ومن أهدافها وثوابتها تحرير كل من الاحتلال الإسرائيلي. [02]

طوفان الأقصى : أوضحت حماس في الوثيقة التي جاءت تحت عنوان " هذه روايتنا ...لماذا طوفان الأقصى " أن العملية كانت خطوة ضرورية واستجابة طبيعية ، لمواجهة ما يُحاك من مخططات إسرائيلية تستهدف تصفية القضية الفلسطينية ، والسيطرة على الأرض وتهويدها ، وحسم السيادة على المسجد الأقصى والمقدسات ، وإنهاء الحصار الجائر على قطاع غزة. [03]

مبدأ حل الدولتين : هو حل اقترحه المفكر السياسي وعالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي الذي يعدّ أول من اقترح هذا الحل المزعوم وروج له في الجامعات الأمريكية مباشرةً بعد هزيمة العرب في حرب 67 [04]

محور "المقاومة" أو "الممانعة" : هو تحالف جماعات مسلحة في كل من لبنان والعراق وسوريا واليمن مدعومة من إيران تصف نفسها بمحور مقاومة إسرائيل ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط . [05]

المبحث الأول: الأحقية الدينية على فلسطين

في البداية وقبل تحليل أي صراع كان ، يجب أن ننظر هل هناك خلفيات دينية تؤطر هذا الصراع ؟ ففي الحرب الأخيرة على غزة نجد أنه في الوعي الاسرائيلي مدنيو غزة ليسو مدنيين بل هم انصار حماس لذا وجب قصفهم وكلمة " وجب " توحى إلى الخلفية الدينية و هي من يدفع الجندي الإسرائيلي لارتكاب أبشع المجازر ، فمن أبرز أقوال الحاخام - مانيس فريدمان - "إن الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية "دبر أماكنهم المقدسة ، واقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم." في اشارة لما سماها "قيم التوراة " وأن الحرب التي تقوم بها إسرائيل حربا أخلاقية ، تهدف إلى إبادة "مجموعة من العصابات التي لا تفهم معنى الإنسانية ، مسوغا بذلك مقولة إن الجيش الإسرائيلي "هو أكثر جيش أخلاقي في العالم " ، واصفا ما يقوم به ب " الجريمة المقدسة " .

المطلب الأول: أحقية العرب والمسلمين على فلسطين

الأحقية الدينية للمسلمين على فلسطين من المواضيع المهمة في استيضاح قضية فلسطين لنرى كيف أن البعد الإسلامي والديني في موضوع فلسطين مهم جدا لفهم هذه القضية وكان تغيبه على مدار سنوات طويلة في عملية الصراع وإدارته على المشروع الصهيوني كان سببا في عملية تأخير إحداث إنجاز على صعيد هذه القضية ، اهتم المسلمون بفلسطين منذ البداية ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان لديه اهتمام بفلسطين منذ البداية وبالشام تحديدا ، وهذا كان واضحا من خلال علاقته وفهمه الإستراتيجي للمنطقة ووجود فرس و روم فيها ،

والصراعات الموجودة بينهم ، وأين موقعه في هذا الموضوع ، حتى أنه بعث بكل صحابته الى الحبشة بعيدا عن الروم والفرس ، وعندما دخل الروم الى مصر وبدأ الصراع مختلفا فخاف أن يضربوا باعتبارهم مخزون إضافي سيعيد الدعوة من جديد.

الفرع الأول: البعد العربي والإسلامي في تشكيل الإنسان على أرض فلسطين

هناك شواهد كثيرة في تاريخنا الإسلامي تدل على أن هذه القيادة الإسلامية كان لديها وعي بهذا الموضوع وتذكر أهميته ، حتى أنه في يوم جاء صاحب سيدنا عمر خليفة المسلمين رضي الله عنه ونادى صارخا " هلك المسلمون هلك المسلمون " فكانت ردة فعل عمر رضي الله عنه الطبيعية والعفوية " أداهننا بني الأصفر " في إشارة منه للروم الذين كانوا مسيطرين على فلسطين وقتها ، بمعنى أصح أن القيادة الإسلامية من الرسول عليه الصلاة والسلام مروا بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفكرون في الروم ويفكرون في أن هناك صراعا حتميا مع الروم ، طبعاً حول ماذا ؟ - حول الشام وحول فلسطين - وتأتى لهم هذا الفهم بعد رحلته الشهيرة عليه الصلاة والسلام الى فلسطين حين أسري به لبيت المقدس ثم عرج به الى السماء من فلسطين ، ثم صلاته بالأنبياء كلهم في داخل بيت المقدس وهنا (دلالة المكانة الإسلامية) ثم بدا المسلمون يبلوروا هذه الفكرة عملياً على الأرض باتجاه فلسطين ، أرسلوا الجيوش لفتوحها وبدؤوا يهتمون بها بشكل كبير جداً ، حتى منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (معركة مؤتة - معركة تبوك...) و المفارقة العجيبة أنه في عهد عمر رضي الله عنه أن المسيحيين النصارى طلبوا منه (أي كان لهم شرط) أن لا يدخل فيها اليهود.

دخلت فلسطين تحت الحكم الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 636هـ وأول حاكم إسلامي لفلسطين كان عمر بن العاص ، واحتل الصليبيون فلسطين واستولوا على القدس من الفاطميين العام 543هـ ن ثم أعاد صلاح الدين السيطرة على فلسطين وفتح بيت المقدس في 27 رجب 583 هـ وذلك بعد معركة سهل حطين الشهيرة .

بقيت فلسطين تحت الحكم الإسلامي في العهد المملوكي فترة طويلة جداً إلى أن غزاها الخطر الآتي من الشرق وهو خطر المغول الذي اجتاحت الخلافة العباسية ودمر العاصمة وقتل الخليفة ، وبدأ يتقدم باتجاه الشام ثم زحف الى مصر ، وفي هذه الفترة سيطروا على فلسطين وبيت المقدس ، ولكنهم في النهاية واجهوا المماليك في معركة شهيرة "معركة عين جالوت" - قطز ويبرس- وفيها قال قطز للأمرءاء (من أتى ليقاتل في سبيل الله فليبقى معنا ومن أتى لمغنم أو خلافة فليغادرنا ولا تثريب عليكم) بقي 31 ألفاً وغادر 125 ألفاً (وهي صورة من صور الخذلان التي تعرض لها المسلمون) ولكن الله نصرهم لأن النية والطوية صافية وفي سبيل الله ، وطرده قطز المغول وفتح بيت المقدس . والإخلاء النهائي للصليبيين كان على يد المماليك وبقيت هكذا الى أن دخل العثمانيون بعد أن نجحوا وأقاموا حكماً إسلامياً في الأناضول فأرادوا أن يتمددوا ويسيطروا على كل الولايات الإسلامية لكي يشكلوا خلافة وهذا كان تصورهم . فجاءوا الى المنطقة وحاربوا المماليك وانتصروا عليهم في معركة قادها - سليم الثالث - الذي أسس للدولة العثمانية ، فأصبحت فلسطين ومن ضمنها بيت المقدس تحت الخلافة العثمانية وفي هذه الفترة بدأت الخلافة العثمانية هي التي تدير فلسطين .

استمر الحكم الإسلامي من 1516 م عندما دخل العثمانيون الى فلسطين حتى العام 1917 م ، ولما دخل " اللبي " الى بيت المقدس فاتحا ومذكرا بالحملات الصليبية (أين انت يا صلاح الدين ... وكلمته الشهيرة.... ها قد عدنا الآن) . و انتهت الحروب الصليبية من 1099 الى 1917 حوالي 900 سنة والعالم الغربي النصراني يفكر في العودة الى بيت المقدس ، والمسلمون في ذلك الوقت كانوا نائمين في سبات عميق ، بعد ذلك أقرت عصبة الأمم الانتداب على فلسطين لبريطانيا التي كانت قد وعدت اليهود سابقا بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، وبقيت تهيئ الظروف لهذا المشروع حتى أقيمت الدولة العبرية في 15 ماي 1948 كدولة على فلسطين ، وبالتالي خرجت فلسطين من دائرة الإسلام وخرجت من الدائرة العربية لتدخل في هذا الصراع المستمر من 1948 الى يومنا هذا حول فلسطين مع المشروع الصهيوني الذي هو جزء من المشروع الغربي الاستعماري.

فإذا جئنا لنستوضح مكانة فلسطين الإسلامية فهي أرض مباركة " بدليل قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .." . [06]

وبدليل قوله تعالى أيضا : " ونجينا ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين " [07] وبدليل قوله تعالى أيضا : " وَلَسْلِمْنَا أَلرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ " . [08]

وإذا تكلمنا عن القداسة فأرض فلسطين مقدسة بدليل قوله تعالى : " يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ " . [09]

وهذه فترات تميزت بخلو فلسطين من تأثيرات اليهود ، وفي هذه الفترة نضج البعد العربي والإسلامي في تشكيل الإنسان على أرض فلسطين ، وبالتالي فلسطين بدأت تتهيأ للمرحلة الإسلامية الخالصة بعرق عربي أصيل وبحكم إسلامي ومفاهيم حضارية إسلامية وديانة 1300 سنة ، أضف الى ذلك أن الكنعانيين أصلا لم يغادروا فلسطين وهذا أعطى فلسطين مكانة إسلامية مرموقة من حيث العرق والإنسان والأرض وتشكلها ، وعلاقة الأرض بالديانة لأن لها مكانة كبيرة جدا .

وعلى أي حال فإن المحكم الإسلامي لفلسطين استمر نحو 1200 سنة حتى 1917 م وهي أطول فترة تاريخية مقارنة بأي حكم آخر ، كان الحكم فيها مسلما ، والشعب مسلما وغطى الحكم كل فلسطين وليس بعضها ، كما ضرب المسلمون المثل الأعلى في التسامح الديني وحرية الأديان ، فكانوا خير من خدم الأرض المقدسة وحمى حرمتها . [10]

وبالتالي نحن الآن إن أردنا أن ندير صراع على هذا المشروع الصهيوني المتحالف مع المشروع الغربي يجب أن ننظر الى موضوع مكانة فلسطين الإسلامية وعلاقة فلسطين بالدين ، وعلاقة فلسطين بالعقيدة الإسلامية كشيء مهم ومهم جدا ولا يمكن تجاوزه ، وإذا تجاوزناه نخرج من الملة ومن العقيدة ، ففلسطين جزء من عقيدتنا بل من صميم العقيدة الإسلامية فهي أرض مقدسة ومباركة ، ومعالجة القضية الفلسطينية يجب أن تعالج في إطار العقيدة لأن فلسطين " أرض وقف إسلامي " لا يستطيع لا حاكم ولا زعيم ولا رئيس أن يفرط فيها وهي غير قابلة للتقسيم

على أي لقب ، أولم يكن بمقدور الخالق جل جلاله أن يسري بالرسول عليه الصلاة والسلام من مكان آخر أو يعرج به من مكة مباشرة فالأمر (كن فيكون) إذا لماذا من فلسطين ؟ لأن هناك إرادة إلهية بإدخال فلسطين كجزء من العقيدة الإسلامية ، هناك إرادة إلهية أن تكون فلسطين جزءا من الأمة الإسلامية لا بل وجزءا رئيسيا ، فالرسول عليه الصلاة والسلام أم وصلى بكل الأنبياء والرسل في بيت المقدس بمعنى أن كل الأنبياء والرسل ومنذ الخليقة سلموا الراية (راية التوحيد) للنبي عليه الصلاة والسلام وكونه آخر الأنبياء فالقيادة معه لآخر الزمان .

فحادثة (الإسراء والمعراج) أدخلت فلسطين من أوسع الأبواب كيف لا ، وهي ارادة الله سبحانه ومن صميم عقيدتنا ، وعلى مر السنين يدير المسلمون الصراع مع الحركة الصهيونية بعيدا عن جوهر العقيدة ، ولم يستفيدوا من التاريخ ، هذا التاريخ الذي يبين لنا أنه كلما كان القدس في أيدي المسلمين كانوا في علو وفي شأن وفي ارتفاع ، وكل ما أخذ من أيديهم كانوا في حالة انحطاط وكرامتهم تحت الصفر .

وعليه إن اراد المسلمون أن يبقوا في علو وسؤدد أن يعيدوا الاعتبار الى البعد الديني والى البعد الإسلامي لفلسطين ولمسرى الرسول ، وهذا عامل قوة سيكسبون من وراءه قوة أكبر وأعظم في طبيعة الصراع ، هذا وقد سعى الغرب دوما الى ابعاد المسلمين عن هذه القضية حتى يبقوا في حالة ضعف ، ومن قداستها أيضا أيضا أنها أرض الأنبياء ومدفون فيها 1000 نبي وحوالي 500 صحابي وأضرحة ومقامات لكثير من الأنبياء والرسل وهي أرض مقدسة طاهرة ، وهي أعلى الأرض وأقربها الى السماء ، والله اختارها لأن تكون معراج رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهي أرض المحشر والمنشر وهذا تكريم عال من الله لها ، ففيها قبلة المسلمين الأولى المسجد الأقصى وإليه تشد الرحال وتعبد الصلاة فيه 500 صلاة فيما سواه ، وهي دار الإسلام وقت الشدائد والفتن قال عليه الصلاة والسلام : " عقر دار الإسلام بالشام " ، عقر دار الإسلام الشام وعاصمة الشام فلسطين ودرة فلسطين بيت المقدس ، والمقيم المحتسب فيها كالمجاهد المرباط ، وفيها الطائفة المنصورة الثابتة على الحق "

" لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله . وهم كذلك " ، قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : " ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس . "

[11]

و إيماننا منا وثقة بوعد الله ورسوله ووعدده حق ، بأن النصر والتمكين لأمتنا المرباطة في بيت المقدس .. وما يحدث اليوم من تأمر دولي صهيوني وغربي ، ومن تحاذل عربي على أهلنا في غزة ، وما أصابهم من قتل وتشريد ومجازر وحشية على يد الصهاينة حتى بلغت القلوب الحناجر ، هي ال " لأواء " .. سيعقبها نصر وما ذلك على الله بعزيز ونحن اليوم أمام تمحيص الصفوف .. فحرب غزة هي الفاضحة والكاشفة .. " فهذا المكان محفوف برعاية الخالق ، والله كفيل المكان والزمان والناس ، فالله اصطفى من خير عباد له لفلسطين واصطفى لهم خير أرضه ، وإن جند الله لهم الغالبون وسيقضي الله أمرا كان مفعولا ، إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا والله لا يخلف الميعاد .

الفرع الثاني: الإدعاء الإلهي لليهود بملكية فلسطين

قبل هذا يجب أن ننظر الى العلاقة التي كانت تربط المسلمين ببني إسرائيل ، فموسى عليه السلام كان مسلما موحدًا ك: يوشع بن نون وكداود وسليمان عليهم السلام ، وقد أمهم الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في بيت

المقدس ، والوحيد الذي اعترض طريقه في المعراج هو موسى عليه السلام ، حتى يفهم كل العالم وكل بني إسرائيل أن نبيهم ورسولهم يعطي من تجربته معهم ، الى الرسول عليه الصلاة والسلام حول الصلاة " اذهب الى ربك لكي يخفف " يحب موسى هذه الأمة ويدرك أن هذه الأرض لهذه الأمة ، وسيصلون خلف نبي ورسول هذه الأمة ، ثم يخرج علينا اليهود ويقولون الوعد الإلهي والوعد الديني والأسبقية التاريخية ، كان يمكن أن يكون عيسى عليه السلام الذي يعترض الرسول في معراجه ، كان يمكن أن يكون ابراهيم عليه السلام أو إلياس عليه السلام أو غيرهم من الأنبياء ، ولكن لماذا موسى بالذات ؟ لأن رب العزة يعلم آخر الزمان و سيعطينا دليلا قاطعا حتى نتيقن أننا على الحق في هذه المعركة ، ونحن من اصول عقيدتنا وديننا الإيمان بكل الرسل والأنبياء لأننا ندرك أن الديانة الأصلية من البداية الى النهاية هي الإسلام واليهود لما طلب منهم نشر التوحيد ونشر الإسلام انحرفوا .

فسليمان عليه السلام عندما خاطب بلقيس " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين...." . [12]

ولما كانوا ينحرفوا عن الجادة كانوا يخسرون مواقعهم وينهاروا ويعاقبهم الخالق ، ولو كان فيهم خيرا ما عاقبهم بفرعون ولا من بابل ، ففي كل المرات كان الذين يضربونهم كانوا اكثر منهم كفرا وأكثر منهم طغيانا وأكثر منهم بعدا عن الخالق سبحانه ، ولا يوجد لديهم نبي ولا رسول ولا كتاب من الخالق ، بينما اليهود يحملون كل ذلك ، وذلك لجورهم وكذبهم وابتعادهم عن حقائق العقيدة ، هذا الواقع يجب أن نستشعره نحن كمسلمين ونبدأ ندخل هذا الموضوع وبشكل كبير في إدارة الصراع مع إسرائيل وبالتالي هذا سيغير المعادلة ، واليوم هم من يستنكر علينا أن نتحدث في موضوع الديانة ودور الدين في الصراع معهم ، مع أنهم هم أنفسهم الذين أنشئوا كل فكرهم عن الدين وحولوا الدين الى قومية ، واليوم يأتي علينا تنيهاهو وزبانيته ويقولون أن القدس عاصمة لدولة إسرائيل بل و يطالب بأن نعترف بأن القدس عاصمة لليهود وأن أي يهودي في العالم القدس عاصمة له ، بينما الفلسطينيين الذين يقتلون فيها ويذبحون و...و...ومعهم كل هذا الفكر ليست لهم ، فاليهود يحتجون على كل العالم أن الله أعطاهم فلسطين ، وهم في الأصل كانوا عبيدا عند فرعون ، واليهود كانوا عبيدا أيضا في أرض الفرات عند البابليين والآشوريين ، ثم يأتوا في آخر الزمان ويقولون نحن أمراء ، بينما الذي لم يكن عبدا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان عبدا لله لكنه كان حرا وهو الذي جمع النيل والفرات في دولة واحدة وهي الدولة الإسلامية تحت راية التوحيد ، وهم في البقعتين هاتين كانوا عبيدا ، ولا يمكن لعبيد أن يملكوا أو أن يحكموا هذا عن اسطورة الحق الديني والتاريخي المزعوم مع أن اليوم الأمر يختلف ، فالقوة هي أصل الأشياء ، واليهود أخذوا بالقوة والغضب وبالقتل والدمار والمجازر أكثر مما أخذوه بالحق الديني والتاريخي ، والأهم اليوم لنا كعرب ومسلمين حتى لو أثبتنا حقنا الديني والتاريخي على مقدساتنا وعلى فلسطين ، ما الذي يفيدنا إن لم يكن لدينا قوة كي نأخذ فلسطين ونسترجع أقصانا ؟ وهو نفس التصرف عندما تلجا الأمة العربية اليوم الى الأمم المتحدة لكي تشكوا هناك ، ولمن تشكوا الى هيئات يحكمها الدجال ويسيرها الغرب المتصهين الذي يدير العالم اليوم مع الأسف ، هذا العالم المتحاييز والمتآمر الذي ينظر لنا بأكثر من مكيال . وهذا الأمر لن يتغير إن لم ننظر لحالنا ونعمل على تغيير ميزان القوى بل وأن نملك من القوة ما يجبر العدو أن يعترف بنا .

أليس حري بنا أن نقف أمام هذا الحال المزري الذي نعيشه ، وأن نضع حدا لهذا الوهن الذي أصابنا ، و رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبهنا و قال :

" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل يا رسول الله : وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت ". [13]

وبالتركيز على ما يدعى بالعلاقة التاريخية بين مقولة " شعب الله المختار " أي اليهود ومقولة " أرض الميعاد " أي فلسطين ، وحسب ادعائهم في الفكر اليهودي شكلت هذه الأسطورة الأمنية الإيديولوجية التي يستخدم منها اليهود أسس نقائهم وبعثهم ، خالقة وهما استطاع مخاطبة الوجدان الديني لليهود ، وشدهم للتعلم بالقدس . [14]

فاليهود يتحججون بالوعد التوراتي على ملكية فلسطين ، ويزعمون أن الله سبحانه خاطب ابراهيم عليه السلام وهو واقف على تلة ما في أرض كنعان (فلسطين) وهذا موجود عندهم في - سفر التكوين - قائلا : " ارفع عينيك وأنظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، إن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد " .

وفي موضع آخر من سفر التكوين يقول اليهود في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات " . [15]

وهم يستندون على هذه النصوص وغيرها في الحديث عن حقهم الإلهي بملكية فلسطين وتقول غولدا مائير : " لقد وجدت هذه البلاد باعتبارها تنفيذا لوعده صادر من الله ذاته ومن المثير للضحك أن يطلب منه بيانات على شرعية ذلك " . ويقول موشي دايان " بما أننا نملك التوراة ونعتبر أنفسنا شعب التوراة لا بد أن نملك الأرض التوراتية " . والغريب في الأمر داخل اليهود يوجد مجموعات يهودية دينية تنكر الوعد الإلهي وحق إسرائيل في الوجود استنادا الى وعود توراتية ، مثل جماعة - ناطوري كارتا - وهي جماعة يهودية أرثوذكسية أغلب أتباعها في مدينة القدس ولندن ونيويورك ولا يعترفون بإسرائيل ولا المزاعم الدينية التي ساقتها الصهيونية ، ودولة إسرائيل والصهيونية بالنسبة إليهم معادية للدين اليهودي . حتى في عالم اليوم وفي ظل القوانين الدولية الإدعاءات الدينية ليس لها مرجعية قانونية دولية ، والقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة لا يقران لأية مجموعة بشرية أو أمة بالحق القانوني في امتلاك الأرض وقيام الدولة عليها اعتمادا على نصوص وآيات دينية . مع أن الله تعالى أخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهود والمواثيق ، وأتبعوا آراءهم وأهواءهم ، وقدموها على الشرائع ، فما وافقهم منها قبلوه ، وما خالفهم ردُّوه .

وفيههم يقول سبحانه وتعالى : " لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ " . [16]

المطلب الثاني: الخذلان العربي لفلسطين

من المؤكد أن خذلان العرب لفلسطين جاء إمتدادا لتاريخ طويل من خذلان الحكومات العربية للقضية الفلسطينية والتي كانت بداياتها مبكرة ففي سنة 1936 وبالضبط أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى ، كما ان الموقف الرسمي العربي إزاء ما يحدث في فلسطين اليوم وفي غزة تحديدا مرده الى تفسخ النظام العربي الذي انتهى منذ ثلاثين عاما إذ بات من الصعب الحديث عن موقف عربي موحد وهذا راجع الى كون معظم الانظمة العربية "وظيفية" خاضعة وتابعة لقوى عالمية تهيمن على المنطقة ، هذا الغياب جعل اسرائيل تستببح الدماء الفلسطينية وهي على قناعة تامة الى حد بعيد بعدم وجود رد فعل عربي لما تقوم به اسرائيل من انتهاك صارخ للقوانين الدولية والإنسانية.

الفرع الأول: شواهد تاريخية مخزية في جبين العرب تجاه فلسطين

التاريخ غني بالشواهد التي خذل فيها العرب غزة بل وكل فلسطين ، وبدأ ذلك مبكرا ففي عام 1936 م أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى قامت الحكومات العربية بإرسال برقيات إلى اللجنة العربية العليا التي كانت تدير الثورة تطالبها بإنهاء الإضراب الفلسطيني الذي استمر ستة أشهر رفضاً للسياسات البريطانية ، واستجاب الفلسطينيون لهذه البرقيات ، وأنحوا إضرابهم وكانت نتيجة ذلك قيام بريطانيا بتقسيم فلسطين. كما حدث في الهزيمة المذلة سنة 1967 م ، والتي تشير إليها بعض التقارير الإسرائيلية المسربة وجاء فيها أن حجم الانتصار «الإسرائيلي» لم يكن يرتبط بكفاءة التخطيط العسكري أو إدارة العمليات الحربية من جانب القيادات «الإسرائيلية» ، بقدر ما كان يرتبط بتلك الانهيارات السريعة الكاملة التي تعرضت لها الجيوش العربية. والانسحابات المخزية دون مقاومة ، مما إلى احتلال كل سيناء ، و الضفة الغربية وبالتالي القدس الشرقية . لتأتي سنة 1979 م لترسم لنا حلقة جديدة من حلقات الخذلان العربي حين وقع أنور السادات الرئيس المصري آنذاك اتفاقية السلام مع «إسرائيل» التي أفرغت القضية الفلسطينية من محتواها ، وأخرجت مصر أكبر دولة عربية من دائرة الصراع العربي الصهيوني . ولم يتوقف مسلسل الخذلان العربي لفلسطين ففي العام 2006 م ، وبالضبط عند فوز حركة حماس بالانتخابات ، هذا الفوز الذي لم يرق لأنظمة الدول العربية التي تختلف اختلافا ايدولوجيا مع حماس، وغضها الطرف حين فرضت إسرائيل الحصار على قطاع غزة ، لدرجة التآمر والمشاركة في القضاء على المقاومة في غزة بمنع الطعام والماء والدواء عن الشعب الفلسطيني .

الفرع الثاني: اذهبوا الى جنوب افريقيا فإن فيها ملك لا يظلم عنده أحد

قصة عظيمة يرويها لنا التاريخ بعد أن ضاقت السبل بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم " الحبشة " وكانت أول ملاذ للفارين من جحيم الإرهاب الديني في بطحاء مكة وأعظم مركز للجوء الديني في تاريخ الإسلام والحضارات الدينية. تروي القصة سيرة ذلك الرجل الذي خدم الإسلام ومكن له وهو على دين غيره ، ذلك الرجل الذي سبقه ذكره و ملأت سيرته العادلة كل الأقطار .. تنشر عبيرها في كل مكان تبلغه.. لأجل هذا كله اختار الرسول صلى الله عليه وسلم بلاده دار هجرة لأصحابه.. بعد أن ذاقوا القهر والظلم من بني جلدتهم وحالوا بينهم وبين دينهم، طمعا في جواره ، " فهو الملك الذي لا يظلم عنده أحد ... " ويعود التاريخ من جديد ليرسم لنا واقعا مريرا من الخذلان العربي ، هذه المرة غزة أرض الرباط الصابرة التي تباد ، و المفارقة و في ظل ما يملكه أشقاؤها العرب من مقدرات تأتي النصر من حبشة هذا الزمان ، وهي دولة جنوب أفريقيا ، ورئيسها سيريل رامافوزا (نجاشي العصر)

وتُقَدِّم الكيان الصهيوني لمحكمة العدل الدولية بتهمة الإبادة الجماعية لأهل غزة . و من منع وحصار وجرائم إبادة محرمة بموجب القانون والأعراف الدولية ، هاته الجرائم التي شهدتها القاصي والداني ، ودكت بها أروقة محكمة العدل الدولية متهمة إسرائيل بأدلة موثقة بهذه الجرائم ، والمفارقة الأعجب لجوء إسرائيل إلى إلقاء الاتهامات على مصر في محاولة للهروب من إدانتها المرجحة من جانب المحكمة.

لكن الاستنتاج الأهم الذي يجب الوقوف عنده ، هو التصرف الصهيوني مع أحد الدول المطبّعة معه ، ففي أول امتحان أمام محكمة العدل الدولية ، لم تتوان في إلقاء المسؤولية على أقدم دولة مطبّعة معها والتي تقيم معها علاقات سياسية وشركات اقتصادية متنوعة ففي سبيل أن تنجو بنفسها من قبضة المحكمة الدولية ، حاولت إلباس التهمة لحليفها مصر وأي تهمة ، تهمة الإبادة . [17]

فهل من استفاقة عربية ننهي بها زمن الخذلان العربي لفلسطين ؟ ونعود بها الى رشدنا ونحمي مسرى الرسول وكل فلسطين ؟ ومتى يفهم العرب أنهم بإمكانهم هزيمة إسرائيل وتاريخهم غني بالشواهد التي منيت فيها بالهزيمة ؟ فإسرائيل ليست كما ينظر لها العرب وليست بالصورة التي غدت بها أمريكا عقول ملوك وأمراء العرب ، وليس لديها قوة خاصة بها ، بل جيشها عبارة عن مرتزقة ، بل ما هي إلا دولة وظيفية وُظِّفت لصالح الإمبريالية الغربية وإستراتيجية توسيع نفوذها والهيمنة على العالم و العالم العربي تحديداً وهذا ما عبر عنه عبد الوهاب المسيري والتي جاءت أعماله كلها تنبيهاً للعرب الذين أدمنوا الاستسلام لإسرائيل ومقولة جيشها الذي لا يقهر ، ونبه في أعماله أن باستطاعة العرب هزيمة إسرائيل شر هزيمة ، وأن لديهم ما يكفي للتغلب عليها ..

"فإسرائيل ليست لديها قوّة خاصّة بها . لديها فقط دعاية تبدو قوية جداً. هناك مصدران خارجيان للقوّة يبقياها على قيد الحياة : الأول هو الدعم غير المحدود من الولايات المتحدة. والثاني هو اللامبالاة غير المحدودة للدول العربيّة .. هذا ما قاله عبد الوهاب المسيري في مقابلة أجراها قبل وفاته مع قناة الجزيرة ، راسماً صورةً أخرى للإرهاب الإسرائيليّ وجرائم الإبادة التي نعيشُ حالةً صارخةً لها اليوم . [18]

وما حدث هو أنه تم تأسيس دولة صهيونية من خلال القوى الإمبريالية، وهي دولة تعيش على المعونات ولا يمكن لها أن تحقق البقاء دون الدعم المالي والسياسي والعسكري الأمريكي الغربي. [19]

في حين أن الولايات المتحدة الأمريكية فقد جاء تصورها بإقامة المشروع الصهيوني سنة 1918 ، بعد موافقة الرئيس الأمريكي "ويلسون" على مضمون "وعد بلفور" ودعمه للحركة الصهيونية ، من أجل مصالح إستراتيجية في المنطقة ، خصوصا وأن الدعامات الأساسية للاقتصاد الأمريكي هي دعائم صهيونية . [20]

إن العرب ، في المنظور الصهيوني ، مجرد أشياء يمكن تحريكها من مكان لآخر كما يمكن بطبيعة الحال إبادةها .. فالفلسطينيون ليسوا كائنات حية .. وإنما هم كائنات آلية يمكن تحريكها من الخارج ، تماما كما يفعلون في مسرح العرائس. [21]

المبحث الثاني : طوفان الأقصى وأبرز التداعيات

ما شهدته غزة من دمار وقتل مروع ستظل عالقة في الوعي العام العربي ، بل وسيمنع أي استئناف وإعادة الروح من جديد في عملية التطبيع . هاته المشاهد غيرت من مزاج شعوب الدول التي كانت قبل الحرب الأخيرة

على غزّة تسعى للتطبيع مع إسرائيل وخاصة دول الخليج ، والتي لديها حساسية تجاه رأيها العام ، ففي استطلاع للرأي قامت به بعض الاوساط الإعلامية الرسمية منها وغير الرسمية أظهرت ان القبول والدعم الشعبي لعملية التطبيع قد انخفض بشكل حاد . بل وجعلت من مسألة الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني تنصدر المشهد السياسي كلية على قضايا المنطقة الى أعلى سلم الاولويات في الدول العربية والإسلامية ولدى المجتمع الدولي ، كما وأحييت عملية "طوفان الأقصى" الفكر المقاوم واستعمال القوة كأحد الأدوات الفاعلة التي لا يفهم الاحتلال سواها ، فإسرائيل ومن ورائها الغرب المتحيز لهذا الكيان لا يعطيك إلا بمقدار قوتك وأن ثقافة السلام لم تجد نفعا مع إسرائيل .

المطلب الأول: أبرز التدايعات

تتجه الأنظار إقليميا وعالميا الى طبيعة رد الفعل الإيراني ووكلائها في المنطقة وخاصة حزب الله على ما قامت به إسرائيل من اغتيالات نوعية ضد عدد من قادة حماس وحزب الله في طهران وغزّة وبيروت ، فقد مثل اغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس إسماعيل هنية إهانة وإحراج لإيران وإظهارها كدولة لا تمتلك القدرة على حماية ضيوفها ، إذ بات الخوف والهلع يسود المنطقة في الوقت الحالي ، والذي فرضه التغيير في قواعد الاشتباك بين إسرائيل وإيران ووكلائها والذي ينذر بالدخول في حرب مفتوحة ، وإيران باتت الطرف الأهم في هذه المعادلة فهي دولة إقليمية كبيرة لا يستهان بها ولها حسابات فيما يتعلق بالمنطقة .

الفرع الأول: هزائم السلام

واليوم ونحن نجني ثمار هزيمة "كامب ديفيد" والتي سميت باتفاقية السلام و ما هي إلا ثقافة ورثتنا التنازل تلو الآخر، هذا السلام الذي أصبح اليوم بموجب طوفان الأقصى جاهزا للدفن والنسيان . وما شهدته العواصم الغربية والجامعات الأمريكية من احتجاجات وملايين التغريدات المؤيدة للعملية من كل أنحاء الأمة الإسلامية ، والتي أفشلت ما كان مخطط له في السر ، كل هذا يفسر لنا الانعكاسات السلبية التي أحدثتها حرب غزّة على مواقف الشعوب تجاه التطبيع . هذا بالإضافة إلى ارتفاع تكلفة التطبيع ، فالثمن الدبلوماسي الذي ستدفعه إسرائيل مقابل التطبيع ليس كسابقه ، فبعد أن كانت الولايات المتحدة ، هي من يبتز ويضغط ويناور ويساوم تلك الأنظمة ويجرها نحو التطبيع وهي المسئولة عن نتائج ذلك ، والآن إذا استمرت تلك الاحتجاجات والمرافعات الدولية المناهضة لإسرائيل ، وإذا زاد الوعي المجتمعي لشعوب الدول التي راهنت إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة على رذوخها للتطبيع ، كل ذلك سيجعل إسرائيل مجبرة على تقديم تنازلات سياسية . كما وأغرقت عملية طوفان الأقصى الأنظمة البالية التي أقصى ما يمكن أن تقدمه "الشجب والاستنكار كلمات صدعوا رؤوسنا بها طيلة عقود من الزمن ، كما أغرق ونسف بالمعايير الأخلاقية والإنسانية لمجلس الأمن حبيس الفيتو الأمريكي . هاته الملحمة التي جعلت الغرب في صدمة ثقافية والعالم من ورائه لتكون بمثابة الرد التاريخي على الثقافة الإمبريالية ومنظومتها المعرفية وإعلانها "الحرب على الإرهاب" وموجة إسلاموفوبيا اليمين المتطرف الأوروبي والتي أطلقت بدورها ردود فعل عنصرية وكراهيمية على تعاطف الشارع في الغرب مع فلسطين وقضيتها العادلة . ناهيك عن سقوط هيبة إسرائيل العسكرية والأمنية والسياسية أمام مستوطنينها و أمام داعميينها في الغرب وإظهارها على حقيقتها العدوانية والمجازر التي ارتكبتها ضد

المدنيين العزل . بل و كانت نتيجتها إيجابية أكبر بكثير من نتيجة رد فعل إسرائيل الهمجي على غزة بالرغم من هول الدمار وعدد الشهداء الذي يندى له جبين الانسانية جمعاء .

الفرع الثاني: شناعة العدو البديل في خبر كان

أظهرت الأحداث المتسارعة في الشرق الأوسط المزدحم بمفردات التهديد والوعيد ومفردات المجابهة والعقوبات ، ومفردات الحروب الطائفية ، ومفردات الصراع بأشكالها المختلفة . أن هذه السياسة وظفت وصنعت من الصراع مع إيران مادة دسمة وشناعة لتحقيق مآرب ، و أغراض إسرائيلية وأميركية ليست بالضرورة أن تتفق مع أهداف المحور العلنة (مجلس التعاون الخليجي والولايات المتحدة) ، و ما حصل بعد سقوط القناع وانكشاف المستور ، أن هذا المحور بسياساته ومغازلته للكيان الإسرائيلي ، أبطل مفعول هذه الشناعة من جهة ، ثم وضع نفسه في موقف العداء للشعوب وقضاياها العادلة ، الموقف الذي حاولوا وضع إيران فيه . هذه الأخيرة التي تعتبر ذخراً استراتيجياً ثميناً بالنسبة لأمريكا وإسرائيل ولا يمكن التضحية بها بأي شكل من الأشكال . والحرب بين إيران وأمريكا غير واردة على الإطلاق ، و هي الفزاعة التي تبتز بها أمريكا دول الخليج من خلال بيعها أسلحة تُعد بمليارات الدولارات ، فضلاً على أنها بعبع مذهبي يدق الأسافين بين الشيعة والسنة ويحرف البوصلة عن الصراع العربي الصهيوني الصراع التاريخي للأمة ، لذلك مكنوها من السيطرة على أربع عواصم عربية العراق ولبنان وسوريا واليمن...وهي الفزاعة التي استهدفت استبدال إسرائيل كعدو بإيران ، هذه الأخيرة التي حصدت الكثير من المكاسب مستغلة بذلك نقاط ضعف السياسة الأميركية في الشرق الأوسط ، يجني مناهضوها مزيداً من الفشل والإخفاق بأخطائهم الجسيمة التي ساعدت في تعاظم نفوذ إيران في المنطقة هذا المحور الذي أقحم نفسه في مستنقعات التطبيع ، التي شملت معظم الدول الإقليمية باستثناء غياب التهدة بين إيران وإسرائيل لكن على الرغم من ذلك ، يبرز اختلاف كبير بين كيفية تعامل كل من الدول الخليجيّة وإسرائيل مع إيران . ولا شكّ في أنّ اتفاقات أبراهام كانت مناهضة لإيران ؛ وفي المقابل ، كان الاستياء من سياسة إيران الإقليمية عاملاً ضمناً في التطبيع بين تركيا والدول الخليجية من جهة وبين هذه وإسرائيل من جهة أخرى . بيد أنّ الانفراج في علاقات إيران مع السعودية والإمارات وحتى مع مصر ، وإن بشكلٍ غير مستقر غير هذه الصورة ، إذ أصبحت إيران مشاركاً فاعلاً في ديناميكيات إعادة الاصطفاف وإن بلغة أقل عقائديّة و جيوسياسية وأكثر اقتصادية ، في حين ، لم تعد أمريكا اللاعب الوحيد في المنطقة . فهناك دراسات غربية تتحدث عن أفول القوة الأمريكية ، وانخفاض التأثير الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط لصالح قوتين دولية وإقليمية ، هما روسيا وإيران . فلقد عادت روسيا إلى الشرق الأوسط وأصبح لها موطئ قدم ، بعد أن احتلت سوريا ، كما أن هناك الصين التي ستقف بالفيديو في مجلس الأمن ضد أي قرار أمريكي بالحرب ضد إيران ، في المقابل لا يزال الضلع العربي غائبا ومغيبا و هدفا للتكسير الدائم ما دامت المنطقة العربية تحديدا تعيش حالة التمزق الذي يملأ المشهد الراهن ، وسيضلون خارج المعادلة ، وإن أرادوا عكس ذلك عليهم أن لا يسلموا بمنطق تغيير العدو والقبول بالتسوية المستحيلة مع الكيان الصهيوني بل العبور في التفاهات الممكنة والضرورة والحتمية مع الفاعلين الإقليميين كتركيا وإيران حتى لا يجدوا أنفسهم أمام خيارات حافة الهاوية ما يدفعهم لصفقة إعادة الإنتاج لمثلث

القوة التقليدية على حساب المصالح العربية والمستقبل العربي. وهو جوهر المصالح العربية الإستراتيجية وليس الوصول إلى تفاهات مع كيان افتعل كل مفردات التهديد والتأييد وجعلها قاعدة صلبة يبنى عليها وجوده وبقائه.

إلا أن الدور الذي يمكن أن تلعبه إيران بعد عملية طوفان الأقصى وما تلاها من أحداث يبدو محاطا بمجموعة من العوامل الرئيسية والمتغيرات التي قد تواجهها خلال الفترات المقبلة ومن أبرزها تعقد القضية الفلسطينية حيث أصبحت القضية الفلسطينية مُعقدة ومُتشابكة بصورة غير مسبوقة منذ 7 أكتوبر 2023 ، بالإضافة إلى ما يحدث في الضفة الغربية من مُخططات الاستيطان وهدم البيوت وتخريف الأراضي وطرده السكان ؛ ما يُشير إلى إعادة تشكيل كاملة للضفة وما لها من أهمية إستراتيجية بالنسبة لإسرائيل ، كل ذلك جعل إيران في مأزق كبير فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومبدأ حل الدولتين ، ناهيك عن حاجز الخوف الذي ينتاب القادة في إيران فيما يتعلق بترتيبات اليوم التالي للحرب الإسرائيلية على غزة ، فالتدابير الإسرائيلية ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لإخراج حركة حماس من المشهد السياسي وتغيير النظام في قطاع غزة وهذا ما تحشاه إيران إن كانت هناك سلطة جديدة في القطاع ربما لا تكون على نفس العلاقة مع حركة حماس ، هذا عن تعقد القضية الفلسطينية في حد ذاتها وهناك مشكل بات يؤرق كاهل الساسة في إيران وما أفرزته الأحداث الأخيرة وهو تفوق قدرات الردع الإسرائيلي هذه الأحداث التي أثبت مدى تفوق قدرات الردع الإسرائيلي وذلك على الرغم من نجاح الصواريخ التي يمتلكها الفاعلون المسلحون ووكلاء طهران في تهديد إسرائيل والوصول إلى تل أبيب ، بجانب اعتراض مسار السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر ، كما أظهرت هذه الأحداث مدى الفجوة التكنولوجية والاستخباراتية بين إسرائيل من ناحية ، وإيران وحلفائها من ناحية أخرى. يُضاف إلى ذلك سلسلة الاغتيالات السياسية المتتالية لرموز إيرانية أو تلك المحسوبة على طهران ، هذه الأحداث والتفاعلات الجارية في الشرق الأوسط أيضا جعلت العديد من المحللين السياسيين يخلصون إلى نتيجة مفادها أن إيران أصبحت في ورطة مغللين ذلك بأن صورتها قد اهتزت بشكل كبير مع عدم الثأر لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية في طهران ، في أواخر جويلية الماضي وكذلك في أعقاب ما حدث في لبنان سواء في 17 سبتمبر الجاري أم فيما سبقه وما بعده ، في ظل مكانة حزب الله في الاستراتيجية الإيرانية ودوره في معادلة وكلاء طهران ؛ إذ تنظر إليه الأخيرة على أساس أنه الركيزة الأساسية للفاعلين والمشروع الإيراني في المنطقة . جاء "طوفان الأقصى" خارج كل الحسابات الإيرانية. وبالتأكيد ، جاء ضد تقديراتها ، وهذا ما جعله لا يُربك الحسابات الإيرانية فحسب ، بل يفرض عليها قلب استراتيجيتها في المنطقة التي عملت عليها خلال العقود المنصرمة. لقد صمّمت إيران نفوذها الإقليمي على أساس إمبراطوري وهو ما يقوم على أساس أن أذرع النفوذ التي تتحكم فيها بالبلدان الأخرى عليها أن تعمل على حماية راعيها ، وأن تقاوم معه عندما يتعرض لهجوم. جاء هجوم مقاتلي حركة حماس في 7 أكتوبر (2023) على البلدات الإسرائيلية في غلاف غزة ليفرض معادلة جديدة ليست واردة في الحسابات الإيرانية ، فكان التضامن الخجول من حزب الله بقواعد اشتباك محدودة ولكن إسرائيل انتظرت حتى انتهت من المهام التي تريدها في قطاع غزة لتبدأ حربها بضربات قاسية على حزب الله ، وصلت إلى اغتيال أمينها العام حسن نصر الله وقتل أغلب قياداته الأولى.

المطلب الثاني: أهداف إسرائيل من الحرب الأخيرة على غزة

إسرائيل الكيان الوظيفي الذي أنشأه الغرب الإمبريالي ، وهو مشروع استعماري استيطاني مدعوم من الغرب لتحقيق مصالحه ومصالحهم من جهة . ومن جهة أخرى ليتخلص من وجود اليهود في أراضيه ، ومن ناحية أخرى ، يستخدم الغرب هذا الكيان كمخلب قط لتحقيق مصالحه في هذه المنطقة من العالم الغنية بالنفط ، والتي تمثل لليهود حلماً قديماً ، ضارباً بذلك عصافيرين بجحر واحد ، وبالنظر الى الحرب الأخيرة على غزة نجد أن إسرائيل تهدف الى تعميق فكرة "الترانسفير" و التهجير داخل الأراضي المصرية وهذا دأب الحركات الاستيطانية وهي فكرة متجذرة في الفكر الصهيوني ، ومن خلال امعانها في القتل والتشريد بغية تعميق خوف الفلسطينيين حتى تنتزع منهم فكرة المقاومة وبالتالي غرس كراهية حماس في نفوس مواطني غزة وأن مقاتلي حماس هم من يسبب لأهالي القطاع هذا الوضع المزري ، و بإمكانهم العيش بكرامة دون حماس ، كما وتسعى لاسترداد كرامتها بصفقتها دولة متفوقة بعد أن هزت كيانها عملية طوفان الأقصى التي فشلت فشلاً ذريعاً في مواجهة حماس وباقي الفصائل الفلسطينية ، من أجل ذلك نراها تتمد الى قتل وتعذيب ليس فقط من يقاومونها من أصحاب الأرض ، بل حتى العزل من المدنيين وهو ما تكرسه العقيدة الصهيونية في مناهج التعليم والقوانين العنصرية ، والذي يرتبط بالعقيدة الصهيونية القائمة على النظر باحتقار ودونية للآخر واعتبار أنفسهم شعب الله المختار ، أو الشعب الكنز على حد زعمهم .

الفرع الأول: خدعة حل الدولتين

منذ عقود و إسرائيل تنتهج سياسة " العنف البطيء " كبناء الجدار العازل وبناء المستوطنات للحيلولة دون أن يكون هناك تسوية سياسية مكتملة الأركان مع الفلسطينيين على أساس حل الدولتين المزعوم الخدعة المتداولة منذ العام 1967 ، وهاهي اليوم تنتهج اسلوباً آخر لا يمكن أن يوصف إلا ضمن "حرب الإبادة" في حربها الأخيرة على غزة وهذا ديدن الحكومات المتطرفة المتعاقبة في إسرائيل ، فعند تتبعنا لمسار المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي ، بل نكاد نجزم أنهم ليسوا معنيون وجادون حقاً في إقامة تسوية سياسية تثمر في النهاية دولة فلسطينية ، وللأسف هناك طيف واسع من الفلسطينيين يصبر على هذا المشهد تحديداً وهي قراءة خاطئة وقاصرة للمشهد بل و منفصلة عن الواقع .

الفرع الثاني: قومية القضية الفلسطينية

وفي هذا الشأن هناك اختلاف واضح وجلي بين الفلسطينيين حول مبدأ حل الدولتين فبالنسبة للسلطة الفلسطينية ومن ورائها منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني والتي تم التوافق عليه بين أمريكا والدول العربية على تحويل قضية فلسطين من قضية قومية عربية إلى قضية فلسطينية يتحمل مسؤوليتها الفلسطينيون وحدهم " قومية القضية الفلسطينية " من أجل تخلي الجميع عن قضية فلسطين وليصبح خذلاً لهم لها مؤطراً ورسمياً ، والذي من مظاهره إبرام عدة اتفاقيات وإقامة علاقات مع الكيان الصهيوني فمبدأ اتفاقية "كامب ديفيد" المشؤومة والمذلة لمصر ، هاهي عجلة التطبيع تستمر بين بعض الأنظمة العربية وبين الكيان الصهيوني بصورة سرية ما لبثت أن أصبحت علنية الى أن وصلت إلى مرحلة التعاون الأمني والاقتصادي... الخ ، فتأتي معركة طوفان الأقصى على حين غفلة كاشفة قمة التآمر والخذلان العربي .

من جانبها منظمة التحرير الفلسطينية ترى في مبدأ حل الدولتين أنه الحل الأنسب والوحيد القابل للتطبيق والقائم على الاعتراف بدولة فلسطين على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشريف بما في ذلك عودة اللاجئين... الخ ، بينما فصائل المقاومة فتري في مبدأ حل الدولتين انتقاص للسيادة وما تنادي به الولايات المتحدة الأمريكية مؤخرًا والأوروبيين ما هو إلا زوبعة إعلامية وشماعة سياسية يستعملها الغرب كل ما انتفض الشعب الفلسطيني وكلما كانت هناك مقاومة خوفاً على إسرائيل طبعاً ، كما حدث في السابع من أكتوبر حين كسرت المقاومة كبرياء ذلك الجيش الذي لا يقهر ، وأغرقت معه مشاريع التطبيع في المنطقة وفرملتها وعرت أبواقها ، هذا عن السلطة ، أما حماس ، من جهتها ترى أن حل الدولتين يمثل الحد الأدنى من مطالب الشعب الفلسطيني وتشتترط في قبوله عدم الاعتراف بإسرائيل وترفض كل مشاريع التوطين والوطن البديل ، في حين ترى حركة الجهاد الإسلامي والتي تؤمن بلا شرعية ولا حق لإسرائيل في الوجود ، بالمقاومة ومع مرور التجارب السابقة والمفاوضات مع الكيان الصهيوني تدرك أن إسرائيل غير جادة وغير مهتمة بمبدأ حل الدولتين وأنها أرادت دائماً الشرعية المطلقة لإسرائيل وأن السيادة الأولى تكون لإسرائيل بل ، وتنظر للفلسطينيين بأنهم مجرد تجمعات سكانية تهتم إسرائيل بترتيب أمورهم الإدارية والاقتصادية ، وهو ما أدى إلى فشل المشروع في مهده . فالتصريحات الحالية للسلطة الإسرائيلية ومن ورائهم أمريكا لا تكاد تخلو من عبارة " ما بعد الحرب " في إشارة لجعل قطاع غزة منزوع السلاح وبإمكان إسرائيل الدخول له متى شاءت مثل ما هو الحال في الضفة الغربية أي تحت السيادة الأمنية الكاملة والمطلقة لإسرائيل ، هذا الخلاف بين رؤى الفصائل الفلسطينية المختلفة حول مبدأ أو كذبة حل الدولتين كان له تأثيره السلبي على الواقع الفلسطيني بل زاد من حدة الخلاف والانقسام ، هذه الرؤى وللأسف جاءت متفقة مع متطلبات اليمين المتطرف ورؤيته للأمن الإسرائيلي وسعيه لإجبار الفلسطينيين بالاعتراف بالدولة اليهودية ، وأن أي مقاومة أو انتفاضة ضدها يعتبر جزءاً من الإرهاب ترى فيه إسرائيل واجب الدفاع عن النفس حتى وإن اعتمدت سيادة الأرض المحروقة تحت غطاء الفيتو الأمريكي وتجاهل المجتمع الدولي لما تقوم به إسرائيل من جرائم في قطاع غزة ، وهو أيضاً بمثابة ضوء أخضر لإسرائيل للاستمرار في الحرب وهذا يعود لكون الولايات المتحدة طرفاً مشاركاً وأساسياً وليس فقط مسانداً لدولة الاحتلال وذلك عبر الدعم السياسي والدبلوماسي والغطاء السياسي والدعم العسكري ، حتى الشعب الفلسطيني أصبح اليوم يفقد الثقة في الولايات المتحدة ويدرك أنها لن تقرر قرار وقف إطلاق النار ، و الولايات المتحدة والاحتلال يتعاملان مع الفلسطينيين بمنطق الوصاية بل وإن المجتمع الدولي لم يهرع للحديث عن دولة فلسطينية إلا بعد الهالة التي أحدثتها عملية طوفان الأقصى . وقد سعت الولايات المتحدة كعادتها إلى إصدار المبررات وتوفير "الغطاء السياسي" لإسرائيل في اعتداءاتها ، على الفلسطينيين ، وتطور الأمر في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب إلى حد فرض عقوبات سياسية واقتصادية على الدول التي تصوت ضد تل أبيب . و لم تكتف بذلك بل سعت إلى توفير المناخ السياسي الآمن لإسرائيل وكانت الراعي الأساسي في عقد العديد من اتفاقيات التطبيع بينها وبين دول عربية. سعيها منها إلى إدماج إسرائيل داخل المنطقة العربية ، وتحويلها إلى قوة إقليمية ، غير أن الوعي المجتمعي في الآونة الأخيرة والإنساني في شتى الأقطار حال دونها ودون ذلك ، رفضاً للتطبيع ، خاصة في ظل استمرار انتهاكات حقوق الشعب الفلسطيني ، والاعتداء المتواصل على قبلة المسلمين الأولى ، المسجد الأقصى .

المتابع لما تقوم به واشنطن تجاه تل أبيب ، يدرك تماماً بأن هناك تيارات سياسية في الولايات المتحدة ، تقوم من خلال نفوذها وصلاحياتها ، بالضغط على صناع القرار لتوفير درع دبلوماسي يحمي انتهاكات إسرائيل . وأبرز هذه التيارات والمؤسسات الضاغطة على صناع القرار في الولايات المتحدة منظمة (ايباك) ونفوذها السياسي داخل غرف التحكم في واشنطن وعلى رأسها الكونجرس الأمريكي وغيرها من العناصر المتشددة والمرتبطة باللوبي الإسرائيلي . والتي تسعى لتوفير درع دبلوماسي يحمي إسرائيل قانونياً أمام الهيئات الأُممية وأبرزها ما حدث مؤخراً في مجلس الأمن ، بل أكثر من هذا تسعى هذه الجهات لتبرير ما يقوم به جيش الاحتلال الإسرائيلي من انتهاكات وإبادة في حق الشعب الفلسطيني الأعزل مساوية بذلك بين الضحية والجلاّد ، وأن ما تقوم به إسرائيل ليس إلا دفاعاً عن النفس أمام الهجمات الإرهابية . هذه التيارات أبانت الوجه الحقيقي والمفلس أخلاقياً للإدارة الأمريكية وسلوكها السلبى تجاه ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من دمار لم يسلم منه لا الشجر ولا الحجر . هذا وما زاد الطين بلة حالة الانقسام الداخلي بين الفصائل الفلسطينية ، وإلقاء اللوم على عناصر المقاومة وكأن الأمر قبل السابع من أكتوبر في غزة كان على أحسن حال بينما في واقع الحال الكل متضرر ، فالمقاومة تدفع ثمن صمودها في وجه الاحتلال ، ولا السلطة استفادت من قبولها و رذوخها للمجتمع الدولي .

يمكن الوقوف على أبعاد الموقف الرسمي الإسرائيلي من قضية القدس من خلال الإرهاسات التي بينتها الصفحات السابقة ، وهو موقف يقوم على رفض تقسيم المدينة ورفض التخلي عن أي جزء منها وعدم القبول بإقامة عاصمة فلسطينية على الجزء الشرقي للمدينة ، وترى إسرائيل في التقسيم نسفاً لجوهر التطلعات الصهيونية وإلجماع الرأي العام الإسرائيلي ، كما تعتبر أن تخليها عن القدس القديمة ، سيؤدي الى بروز تساؤلات حقيقية عن مدى شرعية إسرائيل كدولة يهودية ، والى تفسخ نسيج المجتمع الإسرائيلي ، وحدوث انقسامات داخلية وخلافات مع يهود العالم يؤثر على المستقبل السياسي لإسرائيل . [22]

الفرع الثالث : واقع ما بعد "أوسلو"

خلال السنوات الأخيرة ، فُرج "الوعد" بالسلام من مضمونه أكثر فأكثر وذلك مع انخيار المفاوضات لإقامة دولة ذات سيادة للفلسطينيين وارتفاع حدة الاتهامات المتبادلة مع إسرائيل حتى عادت إلى مستوى ما كانت عليه في التسعينيات قبل اتفاق أوسلو ، وربما أكثر حدة مع تصاعد الخطاب الصهيوني الجديد حول "حق" اليهود في أرض فلسطين بوعده من الكتاب المقدس . أضف إلى ذلك تكريسهم "أمراً واقعاً" على الأرض يخالف كل القرارات والقوانين الدولية حتى ألحقت إسرائيل ومن يدعمها من دول الغرب الأذى الشخصي والمهني بمؤيدي الحق الفلسطيني في دولهم والمتجربين على الحديث علناً عن ممارسات إسرائيل ، أما التهمة "القديمة - الحديثة" فجاهزة : "معاداة السامية" . فدبّ الخوف في نفوس كثيرة حتى تعدى الأمر الأفراد إلى الهيئات والمنظمات والأحزاب كتجريم إسرائيل الحملة الدولية حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات Boycott, Divestment and Sanctions Movement التي أنشئت في يوليو/ تموز 2005 بنداء من 171 منظمة فلسطينية غير حكومية لمقاطعة إسرائيل اقتصادياً . ومارست أيضاً ضغوطاً لدى الدول لمنع الطلاب المقبولين على قائمة موقع "كناري ميشن" Canary Mission الذي يرسل أسماء الطلبة إلى أرباب العمل بهدف توظيفهم) من دخولها لأنه مؤيد

لقضية فلسطين. يضاف إلى ذلك محاولاتها المكثفة لإجبار الأحزاب السياسية الغربية على إدخال انتقاد إسرائيل ضمن "معاداة السامية" في مناهجها. فكان أول من طبق هذا المملكة المتحدة التي فرضت الرقابة على المتحدثين في الجامعات ومنعت بعضهم من الحديث وعلى الخصوص رئيس حزب العمال البريطاني جيرمي كوربن. [23]

أما تفسير هذا الموقف الصهيوني الرسمي ، فله بُعدان : الأول أن أمريكا وأوروبا لم تحاولا إجبار الكيان الصهيوني على قبوله. فلو كانتا جادتين في طرح حلّ الدولتين لنفذ. والثاني أن جوهر المشروع الصهيوني بالرغم من المناورات السياسية التاريخية لإخفائه وعدم إظهاره هو السيطرة على كل فلسطين واعتبارها ملكاً لهم وتهجير كل الشعب الفلسطيني لإعلان دولة إسرائيل المزعومة بصفتها دولة الوطن القومي لليهود العالم.

هذان السببان هما اللذان يفسّران ما عرفته فلسطين والبلدان العربية و الإسلامية من حروب وصراعات منذ ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية. وهما اللذان يفسّران بقاء حلّ الدولتين ليكون مخدراً بإمكان التوصل إلى حلّ. ولبقاء دولاب الحروب والصراعات مستمراً فلسطينياً وعربياً وإسلامياً في المستقبل كما في الماضي فيما يمضي الكيان الصهيوني يتلع ويهود قطعة قطعة . [24]

فحلّ الدولتين يتماشى مع ما أُقرّ في قرار مجلس الأمن برغم سيطرة إسرائيل على باقي أراضي فلسطين التاريخية واعتمد بعض الفلسطينيين هذه المبادئ وهو ما عارضته بعض الفصائل الفلسطينية وفتها حيث شكّلت ما يُعرف بـ «جبهة أرفض» ثم أصبحت فيما بعد مرجعية المفاوضات في اتفاق أوسلو عام 1993 بين «منظمة التحرير الفلسطينية» وإسرائيل.

وبرغم أن إسرائيل ابتلعت ما نسبته 78 في المائة من أرض فلسطين التاريخية متجاوزةً ما خصصته الأمم المتحدة في قرار تقسيم فلسطين عام 1947 فإن السلطة الفلسطينية اليوم ومنذ تأسيسها عام 1994 تنشّد قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة اللتين تشكّلان معاً ما نسبته 22 في المائة من مساحة فلسطين التاريخية. [25]

و يظهر منظرو "حل الدولتين" أن هذا الحل يهدف الى تحرير أبناء الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 من الاحتلال الإسرائيلي في ظل استمرار حملة ممنهجة تقوم على أساس تزايد وتيرة الإستيطان الإسرائيلي وخاصة في مدينة القدس . [26]

لقد فتح مبدأ حل الدولتين الشهية لبعض الدول العربية لتلحق بسابقاتها سعياً منها لتوطيد العلاقات مع الجانب الإسرائيلي ، وقد أبرمت العديد من الاتفاقيات و التبادلات التجارية السرية مع بعض الدول العربية وخاص الخليجية منها إلا أن الجانب الإسرائيلي كعادته يقوم بابتزاز هذه الدول حين يكشف عن حجم التبادلات التجارية فيما بينه وبين هذه الدول .

والهدف من ذلك كسب الود الإسرائيلي والأمريكي واعتبار إسرائيل حليفاً في الخفاء وشريكاً رئيسياً في مكافحة ما يطلق عليه بالإرهاب من جهة ومن جهة أخرى الاتحاد والوقوف في وجه المد الإيراني . [27]

وترمي هذه الإستراتيجية الأمريكية التي بدأت معالمها تتوضح الى ارساء واقع جيو-سياسي في منطقة الشرق الأوسط يقوم على اقناع الحكام والترويج بأن الكيان الصهيوني قوة اقليمية عظمى... وأنها الأقوى على وقف المد الشيعي الايراني وأن العدو الاكبر للعالم إيران . [28]

الفرع الرابع : البعد الهوياتي في الصراع

لا زالت إسرائيل تعاني ولعقود من الزمن من أزمة هوية ؛ معتمدة على مجموعة من الذرائع لإتمام مشروعها الصهيوني على أرض فلسطين والتي من بينها الحق التاريخي لليهود في أرض فلسطين ، وضرورة تأمين وطن قومي للشعب اليهودي ، هو مشروع استيطاني كولونيالي بامتياز ، تستغله «إسرائيل» اليوم لتبرير استمرار احتلالها للأراضي العربية كما أن معظم الصراعات التي عرفها التاريخ قديما وحديثا نجد أن الهوية في قلب كل صراع وهي في الأصل كلمة مضللة وصلت الى حد القتل إذ تحدد الهوية الخصائص الذاتية التي تميز الأشخاص والمجتمعات عن غيرها وتنظم هذه الخصائص بدورها الإطار العام للدولة والأمة ، كما أن المشروع الإسرائيلي المتصهين الذي الذي جشم على أرض فلسطين شعبا ومقدسات متذرعا بالحق التاريخي لليهود في أرض فلسطين ، وضرورة تأمين وطن قومي لليهود ، عملا بالمقولة الصهيونية التي تقوم على فكرة نفى المنفى ، أي أن حياة اليهودي في المنفى غير طبيعية وناقصة ، ولا يكتمل الوجود والمعنى الروحي إلا عندما يلتقي يهودي المنفى أرض «إسرائيل»، ويقيم على أرضه أي على فلسطين وما هو إلا تزييف للتاريخ الفلسطيني حضاريا و ثقافيا ودينيا .

إن مقومات هذا البعد صارت تلعب دورا أكبر من أي وقت مضى كما أن تأثير صعود اليمين المتطرف الإسرائيلي لا يقتصر على توسع الاستيطان أو على خطاب يدعو لفرض السيادة الإسرائيلية على كامل الأراضي الفلسطينية، وإنما يمتد لإنتاج سردية دينية -قومية إسرائيلية أكثر تطرفا حول الصراع. [29]

لقد مرت اليهودية بثلاث مراحل : الأولى المرحلة التوراتية ، التي تعج بالتناقضات والخرافات التعددية مع المعتقدات التي استمرت كتابتها قرابة ألفي عام ، إلى أن وصلت إلى قمة تعنفها وانحطاطها ، وبدلاً من تطويعها لاستيعاب تغيرات العصور ، ذهبت إلى جهة اليمين وتفوقعت ودخلت المرحلة الثانية الكمونية بما تنطوي عليه من تطرف وعنصرية وشوفونية وعداء لكل الشعوب ، ونزاعات أكثر خرافية حتى بات التلمود هو أهم من التوراة رغم أنه شارح لها. ومع توالي القرون والأحداث اتجهت اليهودية التلمودية نحو اليمين مرة أخرى ، وبدأت بظهور المرحلة القبالية وهي المرحلة التي تعيشها اليوم ، حيث لم يعد الحديث عن شعب «إسرائيل» بوصفه شعب الله المختار وإنما هو نفسه الشعب الذي يسكن فيه الإله ، وهي مرحلة الحلولية التي تعززت بعد الهولوكوست حيث ساد اعتقاد له ما يبرره في أوساط اليهود بأن الله تخلص عن شعب إسرائيل بهذا وأن الإله قد مات وبات الشعب هو الإله . [30]

خاتمة:

في كل مرة وعند حدوث أي طارئ في منطقة تعاني ولا زالت تعاني من إختلالات هيكلية ، ومعرضة لعدم الاستقرار ، وانعدام الأمن ، وعدم القدرة على التنبؤ. وهي منطقة أشبه بالرمال المتحركة إذ بات يظهر لدينا مصطلحات جديدة لشرق أوسط جديد قيد التشكيل فعندما تم توقيع اتفاقات إبراهيم المزعومة عام 2020م ، قيل إن الشرق الأوسط يدخل حقبة جديدة. وعند الضربة الإيرانية على إسرائيل في أفريل الماضي ، جرى الحديث

أيضا عن شرق أوسط جديد ، ولكن في الحقيقة ما هو إلا صورة لتحالف إقليمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية يضم دولاً أساسية في حلف الناتو ، وإسرائيل ، وبعض الدول العربية ضد إيران ووكلائها في المنطقة ، ولعل ما حدث بعد "طوفان الأقصى" ليس إلا استمرار لظواهر كانت موجودة بالفعل ، ولا يعني هذا أن المنطقة تشهد نقلات نوعية مختلفة تغير ما هو موجود أو تتناغم الظواهر والعوامل فيما بينها لتحدث واقعا مختلفا.

أما بالنسبة لأمتنا العربية والإسلامية فهناك امتعاض كبير لدى شرائح واسعة من الواقع المر الذي تعيشه ، كيف لا وهي تمر بأخطر مؤامرة وأعظم تحد وهو قضية فلسطين والمعروف عنها أنها أمة إذا ثارت ، فلن تتوقف ، وشواهد التاريخ كثيرة ، وهاهي عملية "طوفان الأقصى" ترسم لنا مرحلة جديدة انكشف من خلالها الكيان الصهيوني علميا إذ تغيرت الكثير من المفاهيم والمعطيات المتداولة في الشرق الأوسط فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية بعد صمود المقاومة الفلسطينية في وجه العدوان الإسرائيلي على غزة وإنجازاتها الميدانية. هاته الإنجازات التي كانت بمثابة ضربة للقوى الفلسطينية المراهنة على اتفاق أوسلو وتسوياته السياسية والأمنية ، وكذلك لمن راهن على صفقة القرن وترتيباتها على الأرض ، كما تجلت لنا صورة النفاق الأميركي والتي ظهرت كطرف مشارك وأساسي وليس فقط مساند لإسرائيل جاعلة بذلك الغرب في صدمة ثقافية والعالم من ورائه لتكون بمثابة الرد التاريخي على الثقافة الإمبريالية ومنظومتها المعرفية وإعلانها "الحرب على الإرهاب" وموجة إسلاموفوبيا اليمين المتطرف الأوروبي ، مما أكسبها تعاطف الشارع في الغرب مع فلسطين وقضيتها العادلة ، وما تتعرض له من جرائم بشعة من قبل الكيان الصهيوني الإسرائيلي المدعوم أمريكيا ، كاشفة بذلك زيف وعجز الأنظمة العربية المتعاونة علنية وخفية ، ومن المفارقة أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية منذ تدخلها في المنطقة أضعفت حلفاءها في العالم العربي ، وعززت من نفوذ إيران في الشرق الأوسط على خلاف ادعاءاتها الحد من النفوذ الإيراني. هاته السياسات التي أضعفت الدول العربية ودفعتها إلى حدود العجز والفوضى ، وقد تجاوزت إسرائيل بذلك في حربها الأخيرة على غزة مبدأ الحرب الخاطفة التي درجت عليها ، ولأول مرة تصل صواريخ المقاومة إلى عمق إسرائيل . كما أسقطت بها هبة إسرائيل وأسطورة جيشها واستخباراتها التي اعتقد الجميع أنها لا تهزم . ولأول مرة تصطف الأنظمة الغربية الصهيونية - مسيحية وهو ما يوحي أننا بصدد حرب صليبية جديدة هذه الهجمة أو الهمجية غير المسبوقة التي لم يسلم منها لا العمران ولا الإنسان بالتقتيل والتدمير الشامل ، استهدفت فيه إسرائيل كافة المحرمات وانتهكت كل الاعراف الدولية والإنسانية والأخلاقية والقانونية ، وهاهي الأمة العربية للأسف تنحى منحا تحاذليا رسميا وشعبيا هذه المرة أيضا ، و تتخلى عن قضيتها المركزية والمحورية أمام كيان غاصب وتخليها هذا سيسبب لها المزيد من الخسارة في قضايا أخرى أيضا، وسيجبرها على المزيد من التنازلات وتآكل مثلما أكل الثور الأبيض دون استخلاص الدروس ، وقادتها وملوكها لا يتحسسون رؤوسهم وهم يتابعون ما يجري وهم أشبه بطائر النعام ، وكأن الأمر لا يعنيهم.

أليس من واجبنا كمسلمين قبل أن نكون عربا نصره إخواننا في فلسطين ، أليس من باب الواجب قبل باب التطوع على حكامنا وملوكنا وأمرائنا النفير خفافا وثقالا وجهادا بالمال والأنفس ، أليس رسولنا يقول : " ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن يُنتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا نصره

الله في موطن يحب فيه نصرته " ويقول : " من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة. " ولكن رب وا معتصماه انطلقت لم تجد نخوة من معتصم .

ألم تحجل أنظمتنا العربية و الإسلامية من نفسها ، في بيعها لشعوبها الكلام . ولو لم تحجل منها ، لوقفت إلى جانب الكيان الصهيوني ، من دون أن يحرك كل ذلك ساكناً في ضمير ووجدان هذه الأنظمة ، هذا بالطبع إن لم يكن بعض هؤلاء الحكام متواطئين مع الكيان الصهيوني ، سرّاً كان أم علناً ، ولولا المواقف الخجولة والمشرقة الى حد ما لكل من إيران وسوريا واليمن والجزائر وتونس وحزب الله ، وبعض شعوب عالمنا الإسلامي التي تضامنت مع اشقائهم في فلسطين ، لاتخذت هذه الأنظمة المطبوعة مواقف أكثر خنوعاً وخصوصاً في هذا التوقيت الذي تلقى فيه المقاومة الفلسطينية أكثر الضربات وجعاً . هاته المقاومة التي أظهرت بسالتها ، وكانت سدا منيعا ودعرا واقيا في وجه الكيان الصهيوني ولولاها لتمدد الكيان و لوطأت أقدامه القاهرة بعد غزة فعمان ثم الكويت ، ومنها إلى أبو ظبي والدوحة والمنامة ، وأخيراً الرياض ، ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة ؛ استكمالا وتنفيذا للحلم الديني والتاريخي المزعوم لليهود ، وبالتزامن مع الهزلة المغربية والإماراتية فالسعودية التي جرّها " بن سلمان " المراهق الصغير الذي كاد أن يمكن تنياهو من المبيت في عقر مكة وبين أحضان بن سلمان ، أيعقل أن يكون الطيار الأميركي الأبيض "آرون بوشنل" أكثر نخوة من " بن سلمان " هذا الطيار الذي قام بحرق نفسه حتى الموت أمام سفارة الكيان الصهيوني في العاصمة واشنطن ، مردّداً [لتبقى فلسطين حرّة] ورفضاً للمشاركة من جديد في إبادة الشعب الفلسطيني ، أيعقل أن تكون الشابة البريطانية بيضاء البشرة أكثر نخوة وإنسانية من " بن سلمان " هاته الفتاة التي احتجت على قادة بلادها والتي شاهدها العالم عبر منصة التيك توك العالمية وهي تطلّي وجه المدعو بلفور الذي منح وطناً لليهود في أرض فلسطين وتمزّق صورته .

هذا وحتى لا نزرع اليأس فنحن كمسلمين لدينا مسلمة مفادها "أننا أمة لا تموت أبدا " أمة تجرعت الأحزان والمآسي منذ فجر الإسلام ولا زالت ، وكل هذا لسبب وحيد أننا مسلمون أمة فهم الغرب من خلال صراعه الطويل معها أنها أمة لا تهزم من قلة ، ولو اجتمعت عليها الكثرة ولو تحالف عليها كل العالم ، طالما بقيت متمسكة بعقيدتها التي تمنحها القوة التي تدفعها للنهوض والقدرة على البقاء ، كما أدرك أن هزيمتها تكمن في فصلها عن عقيدتها التي هي أساس تفكيرها والرابط الوحيد بين أبنائها ، وهما هو ابن خلدون يرسم لنا سبيل النجاة في أحد مقالاته و مما جاء فيها : "وسرّه أنّ القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله ، اتّحدت وجهتها فذهب التنافس وقلّ الخلاف وحسن التعاون والتّعااضد واتّسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدّول..." كيف لا ونحن خير أمة أخرجت للناس ، ونحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله ، جنب الله إخواننا في أرض الرّباط صراط المغضوب عليهم والضالين وكيد النّفائين في العقد .

الهوامش:

- [01] - محسن محمد صالح ، حركة المقاومة الإسلامية، مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات ، بيروت ، ط2، 2015، ص36.
- [02] - كُتائب عز الدين القسام ، على الرابط التالي : <https://www.aljazeera.net/encyclopedia>
- [03] - "لماذا طوفان الأقصى" .. وثيقة لحماس تروي أحداث 7 أكتوبر المصدر ، الجزيرة على الرابط التالي : <https://www.aljazeera.net/>
- [04] مقال على الرابط التالي : <https://www.trtarabi.com/explainers>
- [05] مقال على الرابط التالي : <https://www.aljazeera.net/encyclopedia>
- [06] - سورة الإسراء ، الآية : 01
- [07] - سورة الأنبياء ، الآية : 71.
- [08] - سورة الأنبياء ، الآية : 81
- [09] - سورة المائدة ، الآية : 21
- [10] - محسن محمد صالح ، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت لبنان : 2022 ص ، 24.
- [11] - الراوي ، ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : مسلم | المصدر ، صحيح مسلم ، الصفحة ، 1920 خلاصة حكم المحدث.
- [12] - سورة النمل ، الآية : 30-31
- [13] - رواه أحمد وأبو داود واللفظ له ، وقال الهيثمي في المجمع إسناده أحمد جيد. والله أعلم.
- [14] - عناب ، محمد رشيد ، الاستيطان الصهيوني في القدس 1967/1993، بيت المقدس للنشر ، 2001، ص 37.
- [15] - سفر التكوين من الكتاب المقدس (14/13) على الرابط التالي : <https://st-takla.org/Bibles>
- [16] - سورة المائدة ، الآية : 70.
- [17] - شنوف ، رضا ، هل تتعظ دول التطبيع من الدرس المصري؟ على الرابط التالي : <https://www.elkhabar.com>
- [18] - أقطاي، ياسين ، مناقشة رؤية المسيري حول مصادر قوة إسرائيل ، على الرابط التالي : <https://www.aljazeera.net/>
- [19] - المسيري، عبد الوهاب ، اخبيار إسرائيل من الداخل ، دار المعارف ، القاهرة ، 2001 ص.49
- [20] - شحادة ، موسى ، علاقات اسرائيل مع دول العالم ، 1927-1970 ، سلسلة كتب فلسطينية، مركز الأبحاث ، 1981 ، ص 78.
- [21] - المسيري ص92.
- [22] - مقال على الرابط التالي : <https://www.dohainstitute.org>
- [23] - مقال على الرابط التالي : <https://arabi21.com>
- [24] - العبيدي، جبريل، فلسطين وإسرائيل وتنفيذ حل الدولتين <https://aawsat.com>
- [25] - أبو جاسر ، مروان ناجي ، رؤية حل الدولتين وأثرها على التسوية السياسية للقضية الفلسطينية ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ، غزة ، 2013.
- [26] - السلعوس، علاء الدين عبد الرزاق ، إفرافات مشروع "حل الدولتين" وتأثيرها على الخيارات والبدائل الفلسطينية ، رسالة ماجستير ، 2018، ص26.
- [27] - الاخصاصي محمد ، مجلة القدس ماذا بعد الاحتجاج ، مأخوذة من مقالة ، المغرب ، 2017.
- [28] عمرو صلاح، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي: الأسوأ قادم ، على الرابط التالي : <https://carnegieendowment.org/sada>
- [29] - المسيري ، عبد الوهاب ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، 2مج (القاهرة: دار الشروق، 2002)، مج 2، ص 421.
- [30] - كميل أبو حنيش، «إسرائيل في العقد القادمين»، مركز حنظلة للأسرى والمحررين، 15 ماي 2016، على الرابط التالي ك <https://bit.ly/301WVJ0>